

التوحيد في الرازية في الصحيفة السجادية

نعم، إن هذا الإيمان يتجلى في الصحيفة السجادية المباركة، كيف لا وهي تتضمن تلك المفاهيم القرآنية، فإذا قلنا أن لب العقائد الإسلامية في القرآن الكريم فقد حوت تلك الصحيفة المفاهيم القرآنية التي تشرح عقائد القرآن وتبين مفاهيمه، لذا يتجلى هذا المفهوم العقدي بقوة في الصحيفة السجادية ليبين لنا أن خط الصحيفة هو خط القرآن، وأن مفاهيم القرآن في تلك الصحيفة، فالإيمان بالله، وبوحدانيته، وبوحدانيته في الرزق مفاهيم تتناولها الصحيفة السجادية لتعبر عن العقيدة الإمامية الصحيحة بما يتطابق مع القرآن.

ونحاول في هذه الدراسة تناول بعض من هذه العقيدة كما تناولها إمام الساجدين وزين العابدين في صحيفته المباركة.

الحاجة في الرزق إلى الله فقط:

صاحب الحاجة في كل حاجة في الرزق وغيره هو الله، إنه رب الأرزاق ومسبب الأرزاق وموزع الأرزاق على عباده في كل وقت، يطلب منهم للرزق وبدون، لأن كرمه تعالى (لَا يَضْرِيكَ عَنْ سُؤَالِ أَحَدٍ) وَأَنْ يَدَّ يَدَهُ (بِالْعَطَايَا أَعْلَى مِنْ كُلِّ يَدٍ) ولأنه كما يقول الإمام (أَغْلَاقَ عَنَسًا بِتَابِ الْحُجَّاجَةِ إِلَّا إِلَيْهِ) دعاء1، (لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ) التوبة:118، فهو (مُنْتَهَى مَطْلَبِ الْحَاجَاتِ، ... عِنْدَهُ نَيْلُ الطَّلِبَاتِ) فهو (لَا يَبْدِيعُ نِعَمَهُ بِالْأَثْمَانِ، ... لَا يُكَدِّرُ عَطَايَاهُ بِالْأَمْتِنَانِ، ... وَلَا تَنْقَطِعُ عِنْدَهُ حَوَائِجُ الْمُحْتَاجِينَ) دعاء13، فطلب الحاجة منه (مَنْ حَاوَلَ سَدَّ خَلَّتِهِ مِنْ عِنْدِكَ وَرَامَ صَرْفَ الْفَقْرِ عَنْ نَفْسِهِ بِكَ فَقَدَ طَلِبَ حَاجَتَهُ فِي مَطَانِهَا وَأَتَى طَلِبَتَهُ مِنْ وَجْهَيْهَا وَمَنْ تَوَجَّهَ بِحَاجَتِهِ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ أَوْ جَعَلَهُ سَبَبَ نُجْحِهَا دُونَكَ فَقَدَ تَعَرَّضَ لِلْحِرْمَانِ، وَاسْتَحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَوْتِ الْإِحْسَانِ) دعاء13، فالحرمان نصيب الفرد إذن كما يقول الإمام لمن طلب حاجته من المخلوق، والمخلوق على إطلاقه أو حتى جعله سبباً لنيله من دون الله ف (كَيْفَ يَسْأَلُ مُحْتَاجٌ مُحْتَاجاً، وَأَنْزَى يَرْغَبُ مُعْدِمٌ إِلَى مُعْدِمٍ؟! والحال أن كل الخلق بما فيهم أفضلهم وأكرمهم عند الله محمد بن عبد الله (ص) محتاج إليه سبحانه، فالرغبة والرغبة لخالق الوجود (فَقَصِدْ تَكَّ يَا إِلَهِي بِالرَّغْبَةِ، وَأَوْفِدْ عِلَائِكَ رَجَائِي بِالثَّقَلَيْنِ بِكَ، وَعَلِمْتُ أَنْ كَثِيرَ مَا أَسْأَلُكَ يَسِيرٌ فِي وَجْدِكَ، وَأَنْ خَطِيرَ مَا أَسْتَوْهَبُكَ حَقِيرٌ فِي وَسْوَءِكَ) دعاء13.

وإنما يكون الطلب من الله لأنه واجد الحاجات ومالكها وإنما يطلب الشيء من مالكه، فهو واهب العطايا وواهب الرازقين والمرزوقين، هو المتفرد بالعطاء، وغيره إنما هو وسيلة لذلك العطاء، والوسيلة هي من الله وبإرادة الله، إن شاء جعل الإنسان وسيلة لغيره وإن لم يشأ لم يكن، لذا فإن الإمام عليه السلام يقول (اللَّهُمَّ لَا طَاقَةَ لِي بِالْجَهْدِ، وَلَا صِدْرَ لِي عَلَى الْبَلَاءِ، وَلَا قُوَّةَ لِي عَلَى الْفَقْرِ، وَلَا تَحْطُرْ عَلَيَّ رِزْقِي، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى خَلْقِكَ بَلِّغْ تَفَرُّدِي بِحَاجَتِي، وَتَوَلَّ كِفَايَتِي، وَانْظُرْ إِلَيَّ وَانْظُرْ لِي فِي جَمِيعِ أُمُورِي، فَإِنَّكَ إِنْ وَكَلْتَنِي إِلَى نَفْسِي عَجَزْتُ عَنْهَا، وَلَمْ أَقِمْ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهَا، وَإِنْ وَكَلْتَنِي إِلَى خَلْقِكَ تَجَهَّمُونِي، وَإِنْ أَلْجَأْتَنِي إِلَى قَرَابَتِي حَرَمُونِي، وَإِنْ أَعْطَوْنَا أَعْطَوْنَا قَلِيلًا زَكِدَا، وَمَنْنُوا عَلَيَّ طَوِيلًا وَذَمُّوا كَثِيرًا. فَيَضْمُلُكَ اللَّهُمَّ فَأَغْنِنِي، وَبِعَظَمَتِكَ فَانزِعْشَنِي، وَبِسَعَتِكَ فَأَبْسُطْ يَدِي، وَبِمَا عِنْدَكَ فَاكْفِنِي) دعاء 22.

فالإمام يطلب من الله أن لا يكل رزقه إلى المخلوقين عن طريق الصدقات وغيرها، لأنهم لا يملكون الرزق لهم وإن كان الله جعل بعضهم وسيلة لإيصال الرزق، لأن بعضهم قد يعبس في وجهه وبعضهم قد يحرمه وإن أعطاه أعطاه قليلا ثم يمن عليه كثيرا.

ثم يبين الإمام أن طلب الحاجة إنما هو من الله الذي لا يحتاج للمخلوقين، وأن طلب المخلوق الرزق من مخلوق آخر إنما هو سفه من رأيه (وَرَأَيْتُ أَنْ طَلَبَ الْمُحْتَاجِ إِلَى الْمُحْتَاجِ سَفَهٌ مِنْ رَأْيِهِ وَضَلَالَةٌ مِنْ عَقْلِهِ)، لماذا؟

لأنه كم من الناس طلبوا العزَّ بغيرك فذلُّوا، وراموا الثروة من سواك فافتقرُّوا، وحاوَلُوا الارتفاعَ فأتوا ضَعُوءًا، فَصَحَّ بِمُعَايَنَةِ أُمَّتِنَا هِمُّ حَازِمٍ وَفَقَهٍ اعْتِدَارُهُ وَأَرْشَادُهُ إِلَى طَرِيقِ صَوَابِهِ بِاخْتِيَارِهِ).

فلا يوجد أحد يعطي شيئاً بدون مقابل مهما يكن فإنه يأخذ ثمنه بالكامل حتى لو كان تقيا، فإنه يرجو الثواب والأجر لأنه مهما كان محتاج، والله فقط هو الذي لا يحتاج لأحد وهو الذي يعطي ولا يأخذ لأنه هو الغني عن كل شيء وإليه تفتقر كل المخلوقات. فلذا قال الإمام (فَأَنْزَلَتْ يَا مَوْلَايَ دُونَ كُلِّ مَنْ مَسَّؤُولٌ مَوْضِعُ مَسْأَلَتِي وَدُونَ كُلِّ مَطْلُوبٍ إِلَيْهِ وَلِيَّ حَاجَتِي) دعاء 28، ولو حظر الله الرزق عن عبده لم يجد سبيلاً للحصول على مراده من دون الله، كما يقول الإمام (اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ صَرَفْتَ عَنِّي وَجْهَكَ الْكَرِيمَ، أَوْ مَنَعْتَنِي فَضْلَكَ الْجَسِيمَ، أَوْ حَطَرْتَ عَلَيَّ رِزْقَكَ أَوْ قَطَعْتَ عَنِّي سَبِيلَكَ لَمْ أَجِدِ السَّبِيلَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ أَمَلِي غَيْرِكَ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى مَا عِنْدَكَ بِمَعُونَةِ سِوَاكَ) دعاء 21، فليس من أحدٍ سواك من الكائنات يملك شيئاً حتى نرفع إليه الحاجات! أبداً أنت وحدك (المَخْصُوصُ قَبْلَ كُلِّ مَدْعُوٍّ بِدَعْوَتِي لَا يَشْرُكَكَ أَحَدٌ فِي رَجَائِي) فالرجاء والطلب إنما هو

لذلك كله يحثنا الإمام ويعلمنا كما في أدعيته الشريفة أن نطلب الرزق من الرازق الوحيد وهو □
 (وَأَجْرِي عَلَيَيْنَا طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ) دعاء1 (كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ°)
 البقرة:172، وقال عليه السلام (يا غنيِّ - الاغنياء، هَا نَحْنُ عِبَادُكَ، وَأَنَا أَفْقَرَاءُ
 إِلَيْكَ فَأَجْبِرْ فَاقْتِنَا بِوُسْعِكَ، وَلَا تَقْطَعْ رَجَاءَنَا بِمَنْعِكَ فَتَكُونُ قَدِ اشْتَقَيْتَ
 مِنْ اسْتِسْعَادِ بَيْتِكَ، وَجَرَمَتِ مَنْ أَسْتَرْفَدَ فَضْلَكَ) دعاء10، فإن □ غني عن كل شيء وكل
 شيء لا يستغني عنه فأنت يا غني الأغنياء يسر لنا طريق الرزق والهداية بتوفيقك (وَهَيِّئْ لَنَا
 مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) □ الكهف: ١٠ . وقال عليه السلام (وَأَعْنِدْنَا إِذْ طَرَحْنَا
 أَنْفُسَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ) دعاء10، فإننا يا رب ندعوك فأغننا من فضلك إذا دعوناك ونحن نعلم
 أنك (الرِّزْقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) □ الذاريات: ٥٨ □ وقال عليه السلام (اللَّهُمَّ صَلِّ
 عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاكْفِنِي مَوْؤُنَةَ الْاِكْتِسَابِ، وَارْزُقْنِي مِنْ غَيْرِ احْتِسَابِ،
 وَلَا أَشْتَاغِلَ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالطَّلَبِ وَلَا أَحْتَمِلَ إِصْرَ تَدْبِيعَاتِ
 الْمَكْسَبِ) دعاء20، أي يا رب سهل عليّ طريق العمل لاكتساب رزقك واجعل ذلك بغير حساب كما قال
 تعالى (وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ
 إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) □ الطلاق: ٣ □
 وقال عليه السلام (وَأَجْبِرْ بِالْقُرْآنِ خَلَّاتَنَا مِنْ عَدَمِ الْاِمْلَاقِ، وَسُقْ إِلَيْنَا بِمِ
 رْغَدَةِ الْعَيْشِ وَخِصْبِ سَعَةِ الْارْزَاقِ) دعاء42 أي اجبر حاجتنا بالقرآن من الفقر، ووسع
 علينا في الرزق، وقال عليه السلام (وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ فِي أَنْ تُسَهِّلَ إِلَيَّ رِزْقِي
 سَبِيلاً) (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ
 تُرْجَعُونَ) □ العنكبوت: ١٧ □ أي سهل لي طريق الرزق يا □، ثم يكمل الإمام ليقول (...وَسَهِّلْ
 عَلَيَّ رِزْقِي وَأَنْ تُقَنِّعَنِي بِتَقْدِيرِكَ لِي، وَأَنْ تُرْضِيَنِي بِحِصَّتِي فِيمَا
 قَسَمْتَ لِي، وَأَنْ تَجْعَلَ مَا ذَهَبَ مِنْ جِسْمِي وَعُمُرِي فِي سَبِيلِ طَاعَتِكَ
 إِنَّكَ خَيْرُ الرِّازِقِينَ) دعاء32
 ويقول عليه السلام في دعاء 25 (وَاجْعَلْنِي فِي جَمِيعِ ذَلِكَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ بِسُؤَالِي
 إِلَيْكَ، الْمُصْلِحِينَ بِالطَّلَبِ إِلَيْكَ، غَيْرِ الْمُصْلِحِينَ بِالتَّوَكُّلِ
 عَلَيَّكَ، الْمُعْوَدِينَ بِالتَّعْوِذِ بِكَ، الرَّاغِبِينَ فِي التَّجَارَةِ عَلَيَّكَ،
 الْمُجَارِينَ بِعِزِّكَ، الْمُؤَسَّعِ عَلَيَّهِمُ الرِّزْقِ الْخَلَالُ مِنْ فَضْلِكَ
 الْوَاسِعِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، الْمُعْزَّيْنَ مِنَ الذُّلِّ بِكَ، وَالْمُجَارِينَ مِنَ
 الظُّلْمِ بِعَدْلِكَ، وَالْمُعَاوَيْنَ مِنَ الْبِلَاءِ بِرَحْمَتِكَ، وَالْمُغْنِيْنَ مِنَ
 الْفَقْرِ بِغِنَاكَ).

نعم إن ا هو من (غذّانّا بطيّبات الرزق، وأعانّا بفضله، وأفنانّا
 بِمَنّيّه) دعاء 1 (هُوَ أَغْنِيّ وَأَقْنِيّ) النجم: ٤٨ وهو الذي رزقه مبسوط للجميع حتى لمن
 عصاه كما يقول عليه السلام (رزقك ميسرّ وميسرّ لمن عمّاك) دعاء 46 (اللّه ييسرّ
 الرزق لمن يشاء من عباده ويقدّر له إن اللّه بكلّ شيءٍ عليم)
 العنكبوت: ٦٢ وهو أهل الغنى عن الناس وهم أهل الفقر (تمدّحت بالغنّاء عن خلقك
 وأنت أهل الغنى عنهم، ونسبتهم إلى الفقر وهم أهل الفقر
 إليّ) دعاء 13.

لذا يا ا فإننا ندعوك لأنك الغني الذي يفتقر إليه كل شيء، وأنت أهل الغنى، وأنت من تغني وإنما
 نطلب الغنى منك (فإنّ الغنيّ من أغنيّت) دعاء 36.
 -تسخير الأشياء لرزق المخلوقات:

لقد خلقنا ا وحده ورزقنا وحده (اللّه الذي خلقكم ثمّ رزقكم ثمّ يُميتكم
 ثمّ يحييكم) الروم: ٤٠ وسخر أشياء متعددة لتسهيل الرزق علينا ولنا، ف قادر على أن
 يرزق المخلوق بدون سبب كما يرزقه بسبب لذا فإن الإمام عليه السلام يعلمنا أن نطلب من ا أن يسخر
 الأشياء لرزقنا كما يقول (اللّه ييسرّ على الكرام الكاترين مؤونتنا) دعاء 6.
 كما أن ا خلق النهار لبيتغي الإنسان رزقه فيه كما يقول الإمام (وخلق لهم النهار
 ميسراً ليديتغوا فيه من فضله، وليتسببوا إلى رزقه، ويسرحوا في
 أرضه، طلاباً لما فيه نيل العاجل من دنياههم، ودرك الأجل في
 آخرهم) دعاء 6، كما قال تعالى (وجعلنا الليل السيل والنهار آياتين فمحونا
 آية الليل وجعلنا آية النهار ميسرةً لئليتغوا فمحونا من ربّكم)
 الإسراء: ١٢.

كما أن الإمام يبين لنا في دعاء كامل كيف يكون الغيث سبباً في رزقنا لذا فإنه يطلب الغيث من ا
 ليكون ذلك طريقاً إلى الرزق المتعدد كما في دعائه عند الاستسقاء بعد الجذب:
 (اللّه أسقنا الغيث، وانشرّ علينا رحمتك بغيثك المغدق من
 السحاب المونساق لنبات أرضك المونق في جميع الأفاق، وامنن
 على عبّادك بإيناع الثمرة، وأحيي بلادك ببلوغ الزهرة، وأشهد
 ملائكتك الكرام السفرة بسقي منك زافع دائم غزره وأسع درره
 وأبل سريع عاجل تحيي به ما قد مات، وتردّ به ما قد فات، وتخرج
 به ما هو آت، وتوسّع به في الآقوات، سحّاباً متراكماً هنيئاً مريئاً
 طيقاً مجلّلاً غير ملثّ ودوقه، ولا خلّاب برقه، اللّه أسقنا غيثاً
 مغيثاً مريعاً ممرعاً عريضاً، وأسرعاً غزيراً تردّ به النّهيض وتجدّر

بِهِ الْمَهْيِضَ. أَللَّهُمَّ اسْقِنَا سَقِيًّا تُسِيلُ مِنْهُ الطَّرَابَ، وَتَمْلَأُ مِنْهُ الْجُبَابَ، وَتُفَجِّرُ بِهِ الْأَنْهَارَ، وَتُنْبِتُ بِهِ الْأَشْجَارَ وَتُرْخِصُ بِهِ الْأَسْعَارَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ، وَتَنْعَشُ بِهِ الْبَهَائِمَ وَالْخَلْقَ، وَتُكْمِلُ لَنَا بِهَ طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ، وَتُنْبِتُ لَنَا بِهَ الزَّرْعَ، وَتُدْرِرُ بِهِ الضَّرْعَ، وَتَزِيدُنَا بِهِ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِنَا. أَللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ طِلَّهَ عَلَيْنَا سَمُومًا وَلَا تَجْعَلْ بَرْدَهُ عَلَيْنَا حُسُومًا، وَلَا تَجْعَلْ صَوْبَهُ عَلَيْنَا رُجُومًا، وَلَا تَجْعَلْ مَاءَهُ عَلَيْنَا أُجَاجًا. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَارْزُقْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

وقال عليه السلام (وَحُسْنِ مَوَاسَاتِهِمْ بِالْمَاءِ وَالْعَوْدِ عَلَيْهِمْ بِالْجِدَّةِ وَالْإِفْضَالِ، وَإِعْطَاءِ مَا يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّؤَالِ) دعاء 26.

كما قال تعالى (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ) [الشورى: ٢٨]

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة: ٢٢]

(قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأُمُورَ) [فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ] فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [يونس: ٣١]

(هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ) [غافر: ١٣]

وكما الغيث سبب لأرزاقنا، كذلك الأم ونحن في رحمها سبب لرزقنا كما يقول الإمام (بِالْحُجُبِ تُصَرِّفُنِي حَالًا عَنْ حَالٍ حَتَّى أَنْتَهَيْتَ بِي إِلَى تَمَامِ الصُّورَةِ وَأَنْبَتَ فِيَّ الْجَوَارِحَ كَمَا نَعَتَ فِي كِتَابِكَ نُطْفَعَةً ثُمَّ عَلاَقَةً ثُمَّ مُضْغَةً ثُمَّ عِظَامًا ثُمَّ كَسَوْتِ الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْتَنِي خَلْقًا آخَرَ كَمَا شِئْتِ، حَتَّى إِذَا احْتَجَّتْ إِلَى رِزْقِكَ، وَلَمْ أَسْتَغْنِ عَنْ غِيَاثِكَ فَصَلِّكَ جَعَلْتِ لِي قُوتًا مِنْ فَضْلِ طَعَامِ وَشَرَابِ أَجْرِيَّتَهُ لِامْتِكَ السَّتِي أَسْكَنْتَنِي جَوْفَهَا وَأَوْدَعْتَنِي قَرَارَ رَحِمِهَا، وَلَوْ تَكَلَّمْتَنِي يَا رَبِّ فِي تِلْكَ الْحَالَاتِ إِلَى حَوْلِي، أَوْ تَصَطَّرْتَنِي إِلَى قُوتِي لَكَانَ الْحَوْلُ عَنِّي مُعْتَزِلًا، وَلَكَانَتِ الْقُوَّةُ مِنِّي بِعَيْدَةٍ، فَغَذَوْتَنِي بِفَضْلِكَ غِذَاءَ الْبَرِّ اللَّطِيفِ، تَفَعَّلْتُ ذَلِكَ بِي تَطَوُّلاً عَلَيَّ إِلَى غَايَتِي هَذِهِ، لَا أَعْدَمُ بِرَّكَ وَلَا يُبْطِئُ بِي

كما قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيْعِ وَالْزَّيْلِ
خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَاقَةٍ ثُمَّ مِّن مَّضْغَةٍ
مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِهَا لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرِّرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ
إِلَيْكُمْ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِيَتَّبِعُوا أَسْمَاءَكُمْ وَمِنْكُمْ
مَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ قَدِ اسْتَفْتَاهُمُ لَعَلَّكُمْ أَزْجَلُ لَكُمْ أَمْ يَدْعُونَ
عِلْمَهُمْ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ
وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) [الحج: ٥].

ويؤكد الإمام عليه السلام في دعائه طلب الغنى منه والكفاف عن الناس ليكون العبد أحوج ما يحتاج إلى
[١]، لا يحتاج إلى غيره، بل كل تفكيره في [٢] (وَأَغْنِنِي عَمَّنْ هُوَ غَنِيٌّ عَنِّي، وَزِدْنِي
إِلَيْكَ فَاقَةً وَفَقْرًا) دعاء 46.

ج-المحافظة على الرزق:

من هو المعطي؟ ومن هو المحافظ على هذا العطاء؟ ومن هو الذي ينمي هذا العطاء؟

الجواب على ذلك كله: هو [٣] وحده . وقد تحدث الإمام في أدعيته المباركة عن ذلك في عدة مواضع كما في
قوله عليه السلام (وَأَمَّا عَنِّي مِنَ السَّرَفِ وَحَصِّنْ رِزْقِي مِنَ التَّلَافِ) كما قال تعالى
(وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ السُّرْفِينَ) [الأنعام: ١٤١]. فإن الفرد قد يبذر ويسرف في
رزق [٤] لذا فإن الإمام يدعو [٥] ويعلمنا أن ندعوه كذلك بأن يبعدنا عن الإسراف والتبذير ويدعونا إلى
استخدام رزقه فيما ينفع ويبعدنا عما يضر (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَاجْبُدْنِي عَنِ السَّرَفِ وَالْإِزْدِيَادِ، وَقَوِّمْنِي بِالْبَيْزِ وَالْإِفْتِصَادِ،
وَعَلِّمْنِي حُسْنَ التَّقْدِيرِ، وَأَقْبِضْنِي بِلَطْفِكَ عَنِ التَّبْذِيرِ وَأَجْرِ مِنْ
أَسْبَابِ الْحَلَالِ أَرْزَاقِي، وَوَجِّهْ فِي أَبْوَابِ الْبِرِّ إِنْفَاقِي، وَازْوَ عَنِّي
مِنَ الْمَالِ مَا يُحْدِثُ لِي مَخِيلَةً أَوْ تَأَدِّبًا إِلَيَّ بِعُغْيٍ، أَوْ مَا أَتَعَقَّبُ
مِنْهُ طُغْيَانًا، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيَّ صُحْبَةَ الْفُقَرَاءِ، وَأَعِنِّي عَلَيَّ
صُحْبَتِهِمْ بِحُسْنِ الْمَصَبْرِ، وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ
فَإِذْ خَرَّهْ لِي فِي خَزَائِنِكَ الْبَاقِيَةِ، وَاجْعَلْ مَا خَوَّلْتَنِي مِنْ حُطَامِهَا،
وَعَجَّلْتَ لِي مِنْ مَتَاعِهَا بِلَاغَةً إِلَيَّ جَوَارِكًا، وَوَصَلَةً إِلَيَّ قُرْبِكَ،
وَذَرِيعةً إِلَيَّ جَنَّتِكَ إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَأَنْتَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ)

دعاء 30.

وقال تعالى (وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ
تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبْذُرِينَ كَانُوا الشَّيَاطِينَ وَكَانَ الشَّيْطَانُ

د- عدم الاسترزاق من المرزوقين:

إن كل المخلوقات مرزوقة، وإِ هو رازقها وإنما جعل [العباد بعضهم مع بعض سبباً في الرزق، وكل ذلك من [و يؤكد الإمام ذلك كما يقول في دعاء 25 (وَأَدْرِرْ لِي وَعَلَايَ يَدَيَّ أَرْزَاقَهُمْ) أي ما دام الأولاد صغاراً فليس لديهم القدرة على تحصيل الرزق فأدرر يارب رزقهم على يدي حتى إذا بلغوا أشدهم سعوا في الأرض، وأكلوا من يمينهم وتعبهم وكدهم وقريب من هذا المعنى قوله تعالى (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) [النور: 33] وقوله في دعاء 27 وهو الدعاء لأهل الثغور (وَأَسْبِغْ عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَّتِكَ) أي حسن يا رب أحوالهم وأعطهم الغنى وسهل لهم طريق رزقك.

فكيف نستعين بهم في الرزق أو نطلب الرزق منهم وهم مرزوقون؟! لذا فإن الإمام يوجهنا إلى أن ندعو [أن يبعدنا عما في أيدي المرزوقين كما يقول (اللَّهُمَّ أَغْنِنَا عَنْ هِبَةِ الْوَهَّابِينَ بِهَيْبَتِكَ) دعاء 5، فالإمام يقول اللهم أبعدها عن عطاء المرزوقين الموهوبين الذين هم حصلوا على الرزق وذلك كما ورد من دعاء عن رسول [(اللهم إني أعوذ بك من الفقر إلا إليك ومن الذل إلا لك، ومن الخوف إلا منك).

ويقول أيضاً في دعاء 5 (وَأَغْنِنَا عَنْ غَيْرِكَ بِإِرْقَادِكَ) أي أعطنا من عطائك وأبعدها عن غيرك ممن ليس لهم حول ولا قوة إلا بك فإنك قلت في كتابك (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِيَّاهُ لَا هُوَ فَأَنْزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا) [فاطر: 3].

كما في أدعية النهج (اللهم إني أعوذ بك أن أفترق في غناك، أو أضل في هداك، أو أضام في سلطانك، أو أضطهد والأمر لك).

وينبه الإمام إلى عدم الحاجة إلى المثليل (الكفاء) كما في قوله في دعاء 8 (وَنَعُوذُ بِكَ... وَمِنَ الْفَقْرِ إِلَى الْكَفَاءِ وَمِنَ مَعِيشَةٍ فِي شِدَّةٍ) أي لا تحوجني إلى عبد مثلي في الرزق تول أنت رزقي وكفايتي وقد جعلت لك فرد منا رزقاً معلوماً (أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ) [الصفات: 41].

لذلك كله يؤكد الإمام ويعلمنا ذلك أن لا نلجأ إلى مثلنا من المرزوقين في طلب الرزق فهو الرازق وحده وهو القادر على رزق جميع العباد، فالإمام يطلب من [أن يحفظه من التعرض لسؤال غيره - وإن كان هو لا يطلب - ليعلمنا ذلك، فالناس كما يقول الإمام مرزوقون فلا تجعلني أطلب الرزق من المرزوقين (فَأَسْتَرْزُقْ أَهْلَ رِزْقِكَ) وأنا (مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ) [الذاريات: 57]. كما يقول (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصُنِّ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، وَلَا تَبْتَدِلْ جَاهِي بِالْاِقْتَارِ فَأَسْتَرْزُقْ أَهْلَ رِزْقِكَ،

وَأَسْتَعِظِي شِرَارَ خَلْقِكَ، وَأَفُتِّتِنَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُبْتَلَى بِبِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي وَأَنْزَتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ الْأَعْطَاءِ وَالْمَنْعِ).
 وقال أيضاً (اللَّهُمَّ إِنَّكَ ابْتَلَيْتَنَا فِي أَرْزَاقِنَا بِسُوءِ الطَّنِّ وَفِي آجَالِنَا بِطُولِ الْأَمَلِ حَتَّى الِئْتِمَاسِنَا أَرْزَاقَكَ مِنْ عِنْدِ الْمَرُزُوقِينَ) دعاء 29.
 أي أننا نسترزق طالبي رزقك ونستعين بمن لا حول ولا قوة إلا بحولك وقوتك في طلب الرزق فأبعدنا عن هذا.

وقال أيضا في نفس الدعاء (وَأَجْعَلْ مَا صَرَّحْتَ بِهِ مِنْ عِدَّتِكَ فِي وَحْيِكَ، وَأَتَّبِعْتَهُ مِنْ قِسْمِكَ فِي كِتَابِكَ قَاطِعاً لَاهْتِمَامِنَا بِالرِّزْقِ السَّذِيِّ تَكْفِلاًتَ بِهِ وَحَسْماً لَلِاشْتِغَالِ بِمَا ضَمِنْتَ الْكِفَايَةَ لَهُ، فَقُلَاتِ وَقَوْلِكَ الْحَقُّ الْأَصْدَقُّ وَأَقْسَمْتَ وَقَسَمُكَ الْإِبْرُؤُ الْإَوْفَى؛ (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوْعَدُونَ) ثُمَّ قُلَاتِ: (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْزَلَكُمْ تَنْطِقُونَ). دعاء 29.

الشكر على الرزق:

والوفاء لهذا العطاء كله هو الشكر، إنما هو الشكر الذي يساعد على زيادة الرزق (لَتَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَتَنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) إبراهيم:7 ولكن كما يقول الإمام (كَيْفَ نُطَبِّقُ حَمْدَهُ أَمْ مَتَى نُؤَدِّي شُكْرَهُ؟!) (وَأَيُّ الْحَالِيْنَ أَحَقُّ بِالشُّكْرِ لَكَ، وَأَيُّ الْوَقْتِيْنَ أَوْلَى بِالْحَمْدِ لَكَ، أَوْ قَتُّ الصِّحَةِ السَّتِي هَذَا تُنْزِلُ فِيهَا طَيِّبَاتِ رِزْقِكَ، وَنَشْطُتُنِي بِهَا لِابْتِغَاءِ مَرْضَاتِكَ وَفَضْلِكَ، وَقَوِّ يَنْزِي مَعَهَا عَلَيَّ مَا وَفَّقْتُنِي لَهُ مِنْ طَاعَتِكَ أَمْ وَقَتُّ الْعِلَّةِ السَّتِي مَحْصَتُنِي بِهَا، وَالنِّعَمِ السَّتِي أَتَّخَفْتُنِي بِهَا تَخْفِيفاً لِمَا ثَقُلَ بِهِ عَلَيَّ ظَهْرِي مِنَ الْخَطِيئَاتِ وَتَطَاهِيراً لِمَا انْزَغَمَسْتُ فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ) دعاء 15، (وَأَنْطِقُ بِحَمْدِكَ وَشُكْرِكَ وَذِكْرِكَ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيَّكَ لِسَانِي) و(إِغْرَاقاً فِي الثَّنَاءِ عَلَيَّكَ، وَذَهَاباً فِي تَمَجِّدِكَ وَشُكْرِكَ لِنِعْمَتِكَ وَأَعْتِرَافاً بِإِحْسَانِكَ وَإِحْصَاءً لِمِنَّتِكَ) (وَأَجْعَلْ سَلَامَةً قُلُوبِنَا فِي ذِكْرِ عَظَمَتِكَ وَفَرَاغِ أَيْدَانِنَا فِي شُكْرِ نِعْمَتِكَ وَأَنْطِلَاقَ أَلْسِنَتِنَا فِي وَصْفِ مِنَّتِكَ) (وَأَجْعَلْ شُكْرِي لَكَ عَلَيَّ مَا زَوَّيْتَ عَنِّي أَوْ فَرَ مِنْ شُكْرِي إِيَّاكَ عَلَيَّ مَا خَوَّلْتَنِي) (وَلَا الشُّكْرُ عَلَيَّ مَا خَوَّلْتَنَا مِنَ النِّعْمَاءِ حَمْداً يُخَلِّفُ حَمْدَ الْحَامِدِينَ وَرَأَاهُ، حَمْداً يَمْلَأُ أَرْضَهُ وَسَمَاءَهُ إِنَّكَ الْمَنَّانُ بِجَسِيمِ الْمُئِنَّ، الْوَهَّابُ لِعَظِيمِ النِّعَمِ، الْقَابِلُ بِسِيرِ الْحَمْدِ، الشَّاكِرُ قَلِيلِ الشُّكْرِ، الْمُحْسِنُ الْمُجْمِلُ ذُو الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا

أَنْتَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ).

اللهم ولك الشكر على (إلهامك الشُّكْرَ عَلَيَّ الإِحْسَانِ وَالْإِنْزَعَامِ) وعلى ما (أَسْبَغْتَ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَتِكَ، فَقَدِرْ اصْطِنَاعْتَ عِنْدِي مَا يَعْجِزُ عَنْهُ شُكْرِي، وَلَوْ لَا إِحْسَانُكَ، إِلَيَّ وَسُبُوحُ نِعْمَاتِكَ عَلَيَّ مَا بَلَغْتُ إِحْرَازَ حَظِّي، وَلَا إِصْلَاحَ نَفْسِي، وَلَكِنَّكَ ابْتَدَأْتَني بِالْإِحْسَانِ، وَرَزَقْتَنِي فِي أُمُورِي كُلِّهَا الْكِفَايَةَ، وَصَرَفْتَ عَنِّي جَهْدَ الْبِلَاءِ، وَمَنْعْتَ مِنِّي مَحْذُورَ الْفَقَصَاءِ) (وَارْزُقْنِي الْحَقَّ عِنْدَ تَقْصِيرِي فِي الشُّكْرِ لَكَ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فِي الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ وَالصَّحَّةِ وَالسَّقَمِ) وألهمني (أَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ وَالْغَضِيَّةَ عَنِ السَّيِّئَةِ) بالليل والنهار (وَأَمْلا لَنَا مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ حَمْدًا وَشُكْرًا) (وَأَوْزَعْنَا فِيهِ شُكْرَ نِعْمَتِكَ)

(اللَّهُمَّ إِنَّ أَوْحَادًا لَا يَبْلُغُ مِنْ شُكْرِكَ غَايَةَ إِلَّا حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ إِحْسَانِكَ مَا يُلْزِمُهُ شُكْرًا) (اللَّهُمَّ فَأَوْزِعْ لِي لِيَسْكَرَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ) (وَلَا تُذْهِبْ عَنِّي شُكْرَكَ) فَإِنَّ (أَشْكُرُ عِبَادَكَ عَاجِزٌ عَنِ الشُّكْرِ).

(وَيَا مَنْ شُكْرُهُ فَوْزٌ لِلشَّاكِرِينَ) وَيَا مَنْ (يَشْكُرُ بِسِيرٍ مَا يُعْمَلُ لَهُ، وَيَا مَنْ يَشْكُرُ عَلَيَّ الْقَلِيلِ، وَيُجَازِي بِالْجَلِيلِ) (تَشْكُرُ مَنْ شَكَرَكَ وَأَنْتَ أَلْهَمْتَهُ شُكْرَكَ) (وَالْحَسَانُكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُشْكَرَ عَلَيَّ أَقْلًا) (فَذَكَرْتُكَ بِمَنِّكَ وَشَكَرْتُكَ بِفَضْلِكَ) (تَشْكُرُ لِلْمُطِيعِ مَا أَنْتَ تَوَلَّيْتَهُ لَهُ) (حَتَّى كَأَنَّ شُكْرًا أَوْجَبْتَ عَلَيْهِ تَوَابَهُمْ وَأَعْظَمْتَ عَنْهُ جَزَاءَهُمْ أَمْرٌ مَلَكَوا اسْتِطَاعَةَ الْاِمْتِنَاعِ مِنْهُ دُونَكَ) (تَشْكُرُ بِسِيرٍ مَا شُكِرْتَ بِهِ) (إِلَهِي فَلَا تَحْرِمْنِي خَيْرَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى لِغِلَاةِ شُكْرِي) اللهم إنك قلت وقولك الحق (إِذْ كُورُنِي أَذْكَرُكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) وَقُلَاتِ (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ).

هكذا يعلمنا الإمام السجاد بأدعيته الشريفة كيف ندعو، ومن ندعو، وفضل من نؤمل!

إن أدعية الإمام وطلبه الرزق هو تأصيل للاعتقاد بتوحيد الله في الرازقية، فهو يعلمنا أن الرزق من عند الله، وأن جميع المخلوقات بلا استثناء مرزوقون فلا يطلب الرزق من المرزوقين، بل من الله الرازق الوحيد والفعال لما يريد الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، فيسخر لنا الأرزاق بكيئونته وإرادته وبكيفيته، فلا تعجزه الطرق ولا تمنعه الوسائل عن إيصال رزقه للمخلوقات.

نعم إن الإمام يؤصل للاعتقاد الصحيح في التوحيد بالله في رازقيته وغير ذلك مما تحويه تلك المدرسة الربانية والإيمانية التي تفوح من عطر القرآن إيماناً واعتقاداً وتصديقاً ومفهوماً، هكذا هي

